أَثَرُ مُخالَطَةِ المُبتَدِعَةِ مِن أَهلِ الكَلامِ وَغيرِهِم

أَبُو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ أُنمُوذَجًا

مَع بَيَانِ أَهَمِّ مَا خَالَفَ فِيهِ الأَشَاعِرَةُ أَهْلَ السُّنَّةِ

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عَبدُ السَّلامِ بنُ سَالِمِ السُّحَيمِي

أستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية

والمدرس بالمسجد النبوي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر مخالطة المبتدعة والمتكلمين؛ أبو ذر الهروي أنموذجًا..!

مع بيان أهم ما خالف فيه الأشاعرة أهل السنة

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن سالم السحيمي

اعتنت بها الفقيرة إلى عفو ربها

أم عبادة الليبية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُ رَبِّي وَأَشْكُرُهُ وَأَتُّوبُ إِلَيْهِ وَأسْتَغْفِرْهُ وَأثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْر كُلُّهُ أشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّد بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأصْحَابِه نجُومِ الْهُدَى الزَّاهِرَةِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أبو ذر الهروي هو الإمام المحدّث الرّحال، عبد بن أحمد بن محمد الهروي المالكي، يُكنّى أبا ذر، ومن أشهر رواة «**صحيح البخاري**» بالمغرب والأندلس، ولد بِهراة سنة نحو 355هـ، ورحل فِي طلب العلم إلى العراق والحجاز

والشام، وأخذ عن كبار المحدثين، وكان له عناية عظيمة بالحديث وروايته، حتى صار من أوثق الناس في رواية «صحيح البخاري»، وتوفِي سنة 434هـ.

*ومن أبرز شيوخه:

(**الدارقطني**)، والدارقطني كان بينه وبين أبو بكر الباقلانِي مودة وتعظيم، وقد أثنى عليه من جهة ذكائه ونصرته للإسلام على أهل البدع المخالفين، حتى نُقل عنه قوله المشهور فِي الباقلانِي: "**ما رُئي مثلُه في المتكلمين**". وهذا من أسباب وثوق الهروي بالباقلانِي، وقد ذكر الذهبي ونحوه أن الدارقطني كان فيه شيء من الميل إلى التأويل فِي بعض المواضع، لكنه فِي الجملة أقرب إلى أهل الحديث من متأخري الأشاعرة. (**الحاكم النيسابوري**)، (**الأصيلي**). وكان الهروي في

أول أمره على طريقة أهل الحديث، ثم تأثر بعلم الكلام والأشعرية أثناء إقامته ببغداد ومخالطته للمبتدعه ورحلته فِي المشرق.

*كيف أخذ الأشعرية؟

ذكر أهل التراجم أن أبا ذر اجتمع ببعض شيوخ الأشاعرة، وأخذ عنهم الكلام، ومن أشهر من يُذكر فِي ذلك: أبو بكر الباقلانِي وكان الباقلانِي يومئذٍ من كبار أئمة الأشاعرة ومن أشهر من نشر مذهبهم بالعراق. فتأثر به أبو ذر، وأخذ عنه أصول التأويل والكلام. وقد أشار غير واحد من أهل العلم إلى هذا التأثر، حتى قال الذهبي فِي ترجمته ما معناه: "إن أبا ذر كان فيه ميل إلى مذهب الأشعري"، وكان يبالغ فِي تقريره.

*سبب تأثره بالأشعرية يمكن تلخيص الأسباب فِي أمور:

1- مخالطة المتكلمين فِي بغداد، وبغداد فِي ذلك العصر كانت مركزًا لعلم الكلام والمناظرات وفيها انتشار كبير للأشعرية.

2- تعظيمه للباقلانِي، والباقلانِي كان ذا ذكاء وقوة فِي الجدل والمناظرة، فتأثر به كثير من الناس.

3- ظنه أن الكلام وسيلة لنصرة العقيدة، كثير ممن دخلوا علم الكلام دخلوا بقصد الرد على المعتزلة والفلاسفة، ثم تأثروا بأصول المتكلمين أنفسهم.

4- قلة انتشار كتب السلف في بعض الأقطار آنذاك، خاصة في بعض البيئات التي غلب عليها الجدل الكلامي.

***كيف نشر الأشعرية؟**

كـان لأبي ذر أثر كبير فِي نقـل الأشــعريـة إلى المغرب والأندلس؛ لأنه كان إمامًا مشـهورًا فِي الحديث، فاجتمع له:

1-مكانة علمية كبيرة.

2-عناية بصحيح البخاري.

3-كثرة التلاميذ والرحّالين.

* **ومن أشــهر من أخذ عنه:** الخطيب البغدادي وجماعات من علماء المغرب والأندلس. فكان إذا درّس الحديث قرر معه أصــول الأشــعرية، فانتشــر مذهبه بين المالكية في المغرب والأندلس، حتى صار للأشعرية نفوذ واسع هناك.

ولهذا يذكر المؤرخون أن: انتشــار المذهب الأشــعري فِي المغرب والأندلس كان من أسبابه: نفوذ الدولة، والمدارس

النظامية لاحقًا، وتأثير بعض كبار المحدثين كأبي ذر الهروي.

***موقف أهل السنة فِي أبي ذر الهروي.**

أهل السنة يثنون على أبي ذر فِي الحديث والرواية والإمامة، لكنهم يذكرون ما وقع فيه من التأثر بالكلام والأشعرية. ولهذا تجد مثل: الإمام الذهبي والإمام ابن تيمية يفرقون بين: فضله فِي الحديث والرواية، وبين خطئه فِي مسائل الصفات والكلام. وقد كان كثير من العلماء يقولون: إن الخطأ لا يُسقط فضل العالم، لكن لا يُتبع على خطئه ولهذا يذكر أهل العلم أن بعض المنتسبين للحديث اغتروا بالباقلانِي بسبب: قوة ذكائه ومناظرته. وثناء بعض الأئمة عليه فِي باب الجدل والدفع عن الإسلام. مع أنه بقي على

أصـول كلامية خالفه فيها أئمة السـلف. ومما ينبغي التنبه له: أن ثناء العلماء بعضـهم على بعض لا يعني الموافقة المطلقة فِي كل الأصول، فقد يثني العالم على آخر: لعلمه، أو ذكائه، أو نصــرته فِي باب معيّن، مع وجود مخالفة له فِي مســائل أخرى. ولهذا فإن الدارقطني نفســه تُنقل عنه آثار فِي إثبات الصــفـات على طريقـة أهـل الحـديـث، بخلاف طريقـة المتكلمين فِي التأويل.

* بعض مخالفات الأشاعرة لأهل السنة والجماعة

١-فِي الإيمان:

أهل السنة: عندهم الإيمان قول، وعمل، واعتقاد.

والأشاعرة عندهم : مجرد التصديق القلبي.

وبذلك هم من غلاة المرجئة وقولهم: انبثق عن قول الجهمية فأخرجوا القول والعمل عن حقيقة الإيمان، واختلفوا فِي النطق بالشهادتين !

لذا لا تستغرب فيمن يرى أن ترك الصلاة والاختلاس والرشوة والفساد المالي والأخلاقي لاينقص إيمان مرتكبه، فالإيمان تصديق القلب فقط.

وهذا قول جمهورهم، ومنهم من يقول بقول مرجئة الفقهاء ومنهم من يقول بقول أهل السنة، وقليل ماهم.

٢-فِي العبادة:

أهل السـنة : على هدي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصـحابه، **(عليكم بسـنتي) (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (كل بدعة ضلالة).**

وأمّا الأشـاعرة: فظهر فِي بعضـهم التصـوف وبرزت تحت عباءتِهم فرق الصـوفية، وأضـافوا البدع القولية والعملية لبدعهم الاعتقادية.

ومنهم من فتح باب التلقي بما يسمى العلم اللدنِي - حدثني قلبي عن ربي - فأصـبحوا مزيجا من المعتقدات المختلطة بين عقيدة أهل السـنة والجماعة والفلسـفة والتصـوف والكلام والاعتزال، لذا لا تسـتغرب إذا وجدتَّهم أكثر من ينتسـب للسـنة فِي مقابل الشـيعة وقوعًا فِي المخالفات

العقدية والعبادية، وتكثر فيهم بدع القبور والتبرك وبدع الأذكار والموالد ، وهذا ما يميزهم عن أهل السنة والجماعة المحضة ، لذا يندر أن ترى أشعريًّا إلا ولديه شيء من تلك البدع أو التساهل فيها، وهذا مالا تجده فِي أهل السنة والجماعة المحضة إلا عن خطأ أو جهل يعود منه للحق بعد معرفته غالبًا .

٣-فِي التوحيد :

عند أهل السنة أقسام التوحيد ثلاثة؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية (العبادة) ، وتوحيد الأسماء والصفات.أو التوحيد العلمي (الربوبية، والأسماء ،والصفات)، والتوحيد العملي (العبادة).

وعند الأشاعرة: واحد فِي ذاته ، وواحد فِي صفاته ، وواحد فِي أفعاله.

(التوحيد العلمي فقط دون العملي)

ويلاحظ أنّهم :

أخرجوا توحيد العبادة (العملي) عن حقيقة التوحيد.

كما أخرجوا القول والعمل عن حقيقة الإيمان .

لذا لا تستغرب إذا رأيت أشعريا لا يعتبر صرف العبادة من دعاء ونذر وذبح ولجأ وكمال ذل وخضوع للقبور شركًا، لأنّ الشرك إنّما يكون فِي الربوبية أو الصفات فقط، وتجد أحسنهم حالًا يعتبر تلك الأفعال بدع وليست من الشرك ، ولا تكون من الشرك إلا إذا اعتقد أن الميت يخلق أو يرزق بذاته ، أما لو اعتقد أنه مجرد وسيط يقرب إلى الله زلفى ، فلا

يكون مشــركًا مهما فعل من كمال ذل وخضــوع وتوكل للميت.

وتجاوز ذلك (غلاة) الصــوفية القبورية باعتقاد أن الولي الميت يخلق ويرزق ويشفي وأنه يسمع دعاء الداع إذا دعاه من أي مكان فِي الأرض ، بزعم أن لله أعطاهم هذا كرامة !!

وهذا من الشــرك فِي الربوبية، وتجاوز ذلك الصــوفية المتفلسفة واعتقدوا بوحدة الوجود.

وطبعًا ليس كل أشعري قبوري. ولا كل أشعري صوفي.

ففي الأشــاعرة من ليســوا صــوفية ولا قبورية ، وفيهم من يمقت القبورية ويزدريهم .

٤-معنى لا إله إلا لله:

عند أهل السنة : لا معبود بحق إلا لله

(توحيد العبادة المتضمن الربوبية والأسماء والصفات)

وأما عند الأشاعرة : لا خالق إلا الله. (التوحيد العلمي دون العملي)

٥-التحسين والتقبيح:

أهل السنة عندهم: شرعي وعقلي، فالعقل يمكنه معرفة حسن الأمور وقبحها ولكن الحساب لا يكون إلا بعد ورود النص (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا)

وأما عند الأشاعرة: فشرعي فقط، فالعقل لا يعرف حسن الأشياء من قبحها ! وفيهم من يقول بقول أهل السنة.

٦-الأسماء والصفات

عند أهل السنة: إثباتها كما أثبتها الله ورسوله، فالمعنى معلوم، والحقيقة والكيفية مجهولة، فالله تعالى بذاته

وصفاته: **(ليس كمثله شيء) ، (هل تعلم له سميًّا)، (ولم يكن له كفوًا أحد)**

وأما عند الأشـاعرة: صـفات أجمعوا على إثباتِها: الصـفات السـبع ، ويسـمونَها صـفات المعانِي، قالوا دل العقل على ثبوتِها وهي:

*الحياة.

*العلم.

*القدرة.

*الإرادة.

*السمع.

*البصر.

*الكلام.

ويقولون: إنّ العقل دل على ثبوتِها لله؛ لأنّ الإله عندهم لا يكون إلهًا إلا وهو حيٌّ عالمٌ قادرٌ... إلخ.

ولهـذا أثبتوهـا، لكنهم يثبتونَهـا على طريقتهم الكلاميـة، لا على طريقة السلف.

وبعضهم يجعل معها صفات يسمونَها "المعنوية" مثل: كونه حيًّا وعالمًا وقادرًا.

أما أهل السـنة ؛ فيثبتون هذه الصـفات وغيرها جميعًا؛ لأن الله أثبتها لنفســه، ولأن الرســول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتها له، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وصفات أجمعوا على نفيها وتعطيلها: وهي الصفات الفعلية.

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، يفعلها إذا شاء، مثل:

❋الاستواء على العرش

❋النزول

❋المجيء

❋الرضا

❋الغضب

❋الضحك

❋الفرح

❋الكلام المتعلق بالمشيئة

فهؤلاء غالبًا لا يثبتون هذه الصفات على ظاهرها، بل يؤولونَها أو ينفون حقيقتها. فمثلًا:
الاستواء = الاستيلاء
النزول = نزول أمره أو رحمته
المجيء = مجيء أمره
الغضب = إرادة الانتقام
وسبب نفيّهم لها: أنّهم ظنوا أن قيام الأفعال الاختيارية بالله يستلزم الحدوث أو التشبيه، ففروا من ذلك إلى التأويل والتعطيل.أما أهل السنة فيقولون: إن الله يفعل ما يشاء متى شاء، وصفاته الفعلية حقيقية تليق بجلاله، لا تشبه صفات المخلوقين.
صفات اختلفوا فيها: الصفات الخبرية، وهي الصفات التي

طـريــق إثـبــاتـهـا الــخـبر، مـثــل:

الـــــوجـــــه

الـــــيـــــديـــــن

الـــعـــيـــنـــيـــن

وســميت خبرية لأن العقل – عندهم – لا يســتقل بإثباتِها،

وإنـــمـــا ورد بِـــهـــا الـســـمـــع.

مــوقــف الــمــتــقــدمــيــن مــنــهــم

كثير من المتقدمين من الأشاعرة كانوا أقرب إلى الإثبات فِي

هـذا البـاب، فيثبتون بعض الصــفـات الخبريـة مع تفويض

الـكـيـفـيـة، وإن وقـع عـنـدهـم اضـطـراب.

ومـــوقـــف الـــمـــتـــأخـــريـــن

أما المتأخرون؛ فغلب عليهم التأويل، وتأثروا بالمعتزلة

والـفـلاسـفـة، فصـاروا يـؤولـون هـذه الصــفـات:

اليد = القدرة أو النعمة

الوجه = الذات

العين = الحفظ أو الرعاية

ولهذا قال أهل العلم: إن المتأخرين منهم أشد تعطيلًا من المتقدمين.

وطريقة السلف التي عليها أهل السنة والجماعة:

إثبات جميع ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إثباتًا بلا تمثيل

وتنزيهًا بلا تعطيل

كما قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال الإمام نعيم بن حماد:

"من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد

كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه".

٧- الأشاعرة ينفون العلو عن الله تعالى.

٨-خالفوا أهل السنة فِي منهج الاستدلال

ففي باب العلو خاصة:

أهل السنة يثبتون ما أثبته الله لنفسه من علوه على خلقه واستوائه على عرشه، على الوجه اللائق به، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، كما عليه السلف كـ مالك بن أنس وأحمد بن حنبل. أما جمهور المتأخرين من الأشاعرة فإنّهم لا يثبتون العلو الذاتِي المعروف عند السلف، بل يؤولون نصوص العلو والاستواء؛ فيفسر كثير منهم الاستواء بالاستيلاء، ويقولون: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فرارًا ـ بزعمهم ـ من التشبيه. ولهذا يعدّ أهل السنة هذا مخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع

السلف.

ومن أمثلة أدلة العلو عند أهل السنة:

قوله تعالى: ﴿أأمنتم من فِي السماء﴾

وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾

وحديث الجارية حين قال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أين الله؟»

قالت: «فِي السماء"

وكذلك خالف الأشاعرة أهل السنة في منهج الاستدلال؛ فأهل السنة يقدمون النصوص ويثبتون الصفات كما جاءت مع فهم السلف، أما المتكلمون من الأشاعرة فاعتمدوا قواعد علم الكلام والمقدمات العقلية، فإذا رأوا أن ظاهر النص يخالف ما قرروه عقليًا صرفوا النص عن ظاهره بالتأويل أو التفويض.

ولهذا اشتد إنكار أئمة السلف للكلام وأهله، ومن ذلك كلام الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عثمان الصابوني وغيرهم في ذم علم الكلام وطرقه.

٩-الحكمة والتعليل:

أهل السنة يرون أن أفعال الله لها حكم وغايات عَلمها من علمها وجهلها من جهلها.

وأما الأشاعرة فينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقا.

١٠-القدر

الأشاعرة يثبتون القدر إجمالًا، ويثبتون أن الله خالق كل شيء، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لكنهم خالفوا أهل السنة فِي بعض تفاصيل باب القدر، وأشهر ذلك مسألة الكسب والجبر.

فأهل السنة يثبتون أمرين معًا:

أن الله خـــالـــق الـــعـــبـــاد وأعـــمـــالـــهـــم.

وأن العبد له مشـيئة وقدرة حقيقية يفعل بها، لكنها تحت

مشـــــــــــــــيـــــــــــــــئـــــــــــــــةالله.

قال تعالى: ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم أَن يَستَقيم وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللهُ﴾ .أما الأشـاعرة فبالغوا فِي جانب خلق الله لأفعال العباد حتى صـــار قول كثير منهم قريبًا من الجبر؛ إذ يقولون: إن العبد لا تأثير لقدرته في الفعل، وإنما الله يخلق الفعل عند قـدرة الـعـبـد وإرادتـه، ويســـمـون هـذا الـكســـب.

ومرادهم بالكســب: أن الفعل خلقه الله وحده، والعبد مجرد "محل" للفعل أو مقارن له من غير تأثير حقيقي لقدرة العبد.

ولهذا انتقد أهل الســنة هذا القول، وقالوا: إن فيه ضــعفًا في إثبات فعل العبد الحقيقي الذي دل عليه الشــرع والعقل

والحس؛ فالإنســـان يفرق بين حركته الاختيارية وحركة المرتعش قهرًا. ولهذا كان مذهب أهل الســـنة وســـطًا بين: الـجبرية الـذين يســـلبون العبد قدرته واختياره. والقدرية المعتزلة الذين يجعلون العبد يخلق فعل نفســـه اســـتـقـلالًا.

ومن العلماء الذين بســـطوا الكلام فِي هذا الباب :شـيخ الاســـلام ابـن تـيـمـيـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ والإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ والإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وغيرهم.

و الله أعلم، و صلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه آجمعين .

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah